المتن

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم ونزلوها منزلتها وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله تعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"[السجدة:24]. وقال عن إبراهيم: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[النحل :120-121].

الشرح

حاصلُ هذا الوجهِ؛ أن نقول نعم ليسوا من أهلِ السُنةِ والجماعةِ ؛حتى لو انتسبوا لأبي الحسن الأشعري؛ لأن أبا الحسنِ الأشعري وغيرِهِ من الأئمةِ لايدَّعون لأنفسِهِم العصمة وهم أيضًا ليسوا معصومين.

بل لو ادعى أحدٌ العصمة لنفسهِ ؛ لكان ادعاؤه العِصمة هوأولَ خطإٍ أخطأهُ ؛ لأنه يكونُ معصوماً من الخطإِ أبدًا إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تعالى منَ الرُسُل؛ أما غيرُهم فكلٌ مُعرَّضٌ للخطإِ. فنقولُ:

أولاً:حتى وإن كانوا أتباعَ أبي الحسنِ الأشعري فلا مانع أن نقول: إنهم مُخطِئون وهو أيضًا مُخطِئٌ ؛وليس هو معصومًا. و لايدَّعي العصمة فيماي قولُ ؛وما كان إمامًا إلا حينَ عَرِفَ قدرَ نفسِهِ؛ وصارَ مُتبِعًا للكتابِ والسُنةِ.ومَنْ عَرِفَ قدرَ نفسِهِ عَرِفَ الناسُ قدرَهُ.فإذا عرفَ الإنسانُ قدرَ نفسِهِ وأنَّهُ غيرُ معصومٍ وأنَّهُ كغيرِهِ من البشرِ يُخطِئُ ويُصيبُ حينئذٍ يعرفُ الناسُ قدرَهُ.

ثانيًا: هؤلاء الذين يدَّعونَ أنهم أتباعٌ لأبي الحسن الأشعري لم يتبعوه حقيقة الاتباعِ؛ولا اتبعوه الاتباع الحسنِ؛ لماذا؟ لأنّ أبا الحسنِ الأشعري كان له ثلاثُ مراحلٍ في عمرهِ: كان معتزِليًّا ثم بَيْنَ المعتزلةِ والسُنةِ ثم سُنيًّا.وأتباعه اتبعوه في وسط أمره.ومقتضى الاتباعِ الحسن ؛أن يتبعوهُ في آخرِ أمرهِ ؛لأن هذا هو الذي استقرَ عليه.

المتن

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال: اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عامًا يقرره ويناظر عليه، ثم رجع عنه وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب. قال شيخ الإسلام ابن تيميه ص471 من المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوى؛ لابن قاسم "والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلامًا صحيحًا ومن هؤلاء أصولًا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة". أهـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث مقتديًا بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما قرره في كتابه: "الإبانة عن أصول الديانة" وهو من آخر كتبه أو آخرُها.

قال في مقدمته: "جاءنا - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبلُهُ المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى، وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم. فقال عز وجل: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" [الحشر: 7]. إلى أن قال: فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها وأنكروها وجحدوها افتراءً منهم على الله "قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ."

ثم ذكر - رحمه الله - أصولاً من أصول المبتدعة، وأشار إلى بطلانها ثم قال: "فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والجهمية، والحرورية، والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا - عز وجل - وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن حنبل

- نضر الله وجهه ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل" ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق وذكر ثبوت الصفات، ومسائلَ في القدر، والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

الشرح

كما قلنا سابقًا طريقة التأويل قلنا ذلك من باب التنزل معهم فسموا أنفسَهُم أهلَ التأوِّيل وإلا فالحقيقة أنَّ هذا تحريفٌ .تحريفُ الكلم عن مواضِعِهِ لأنَّهُ لايَصدُقُ عليهِ التأويل.

التأويل لابدَ فيهِ من قرينةٍ ودليلٍ ظاهرٍ فإن لم يكن فهو تحريفُ معاني النصوصِ إلى ما يُريدون وإنما ذلكَ تحريفٌ محضٌ ولهذا فنحنُ إذ سميناهم أهلَ التأويلِ فإنَّ ذلكَ من بابِ التنزُلِ معهم على تسميتهم وإلافإنهم أهلُ تحريفٍ إذ لا دليلٍ على ما ذهبوا إليه.والتأويل في لغةِ القرآن الكريم إما تفسير وإما المعاني.أما صرف اللفظِ عن ظاهرهِ فإن كان بدليلٍ فهو تفسيرٌ وإن كان بغيرِ دليلٍ فهوتحريفٌ.

.....